انهيار دولة البطالسة

إعداد: هشام الجبالي



مرحبا بأصدقائى فى كل بقعة من أرض مصر.

أسمى **«نيل»** وُجدتُ منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصاحب أجدادكم القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباءكم فى مسيرة العمل من أجل رقى مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأأسى لهزائمهم، أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ما هو مصرى فأطوف بأرجاء البلاد شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، أبحث عن كل جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أحث أبناءها على بذل المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقا ومستقبلا يملأه الرقى والتحضر، أعتدت أن أصاحب الشيخ كثير النشاط والحركة **«تاريخ»** كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها، لهذا ستجدونى معكم عبر حكايات **«تاريخ»** وحوادث مصر وأخبارها.

موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالى

الرسوم الداخلية : علاء حجازى
هانى طه - إيهاب وصفى

المراجعة اللغوية : شوقى هيكل

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

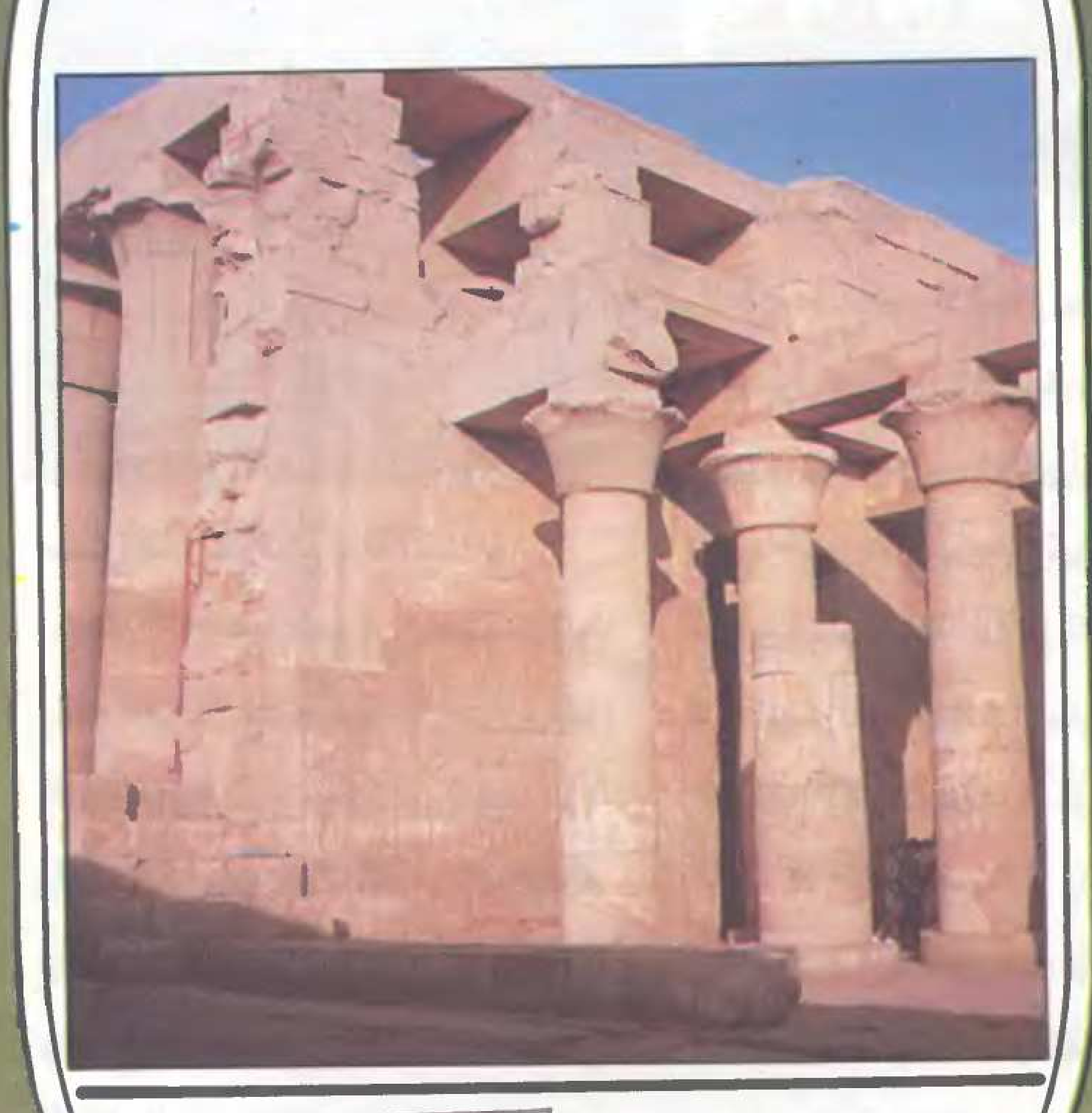
الإخراج : المكتب العربى للمعارف

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

موسوعة تاريخ مصر

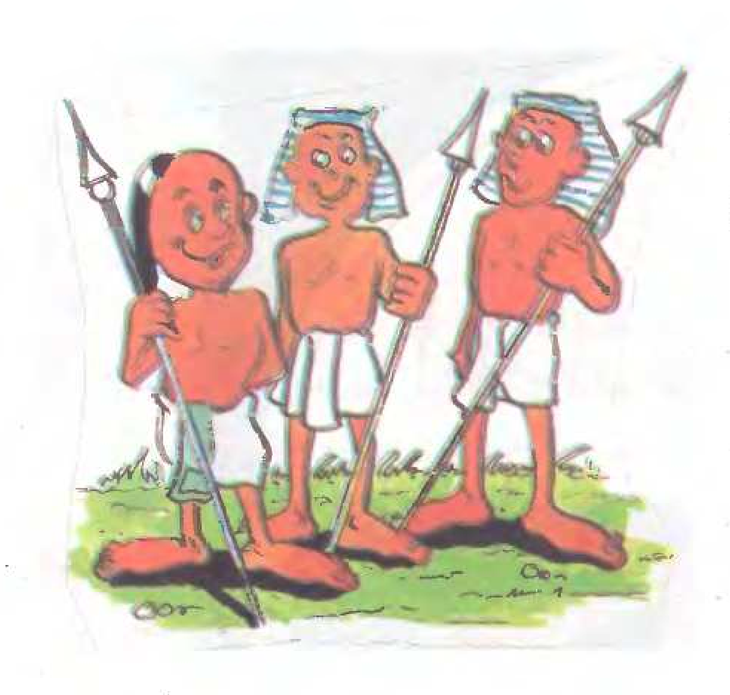
انهيار دولة البطالسة



إعداد: هشام الجبالي

طوت بلادكم صفحات كثيرةً من المجدِ والفخارِ، حفلت بأسماءِ وأعمالِ فراعنتِكم العظامِ الذين علَّمُوا الدنيا مبادئَ العلومِ والفنونِ والآدابِ وقادوا الإنسانيةَ لأجيالٍ طويلةٍ على طريقِ التقدُّمِ والمدنيَّةِ والحضارةِ، وتجاوزت بعدَ ذلك صفحاتِ حكمِ الليبيين والنوبيين والآشوريين وملوكِ سَايس، لينهيَ غزوُ الإسكندرِ لأرضِهَا عهودَ صراعِهَا مع الإمبراطوريةِ الفارسيةِ ويفتحَ لها صفحةً جديدةً تسجِّلُ سطورُها أنباءَ قيامِ دولةِ البطالمةِ.

فقد جاء بطليموسُ بن لاجوس إلى بلادِ الفراعنةِ نائبًا عن ورثةِ إمبراطوريةِ الإسكندرِ المقدونى، واستطاع بما امتلك من الطموحِ والمهارةِ أن يستفيدَ من ثراءِ البلادِ وتقدُّمِهَا فى تأسيسِ دولةِ البطالمة فى الدلتا والوادى كقاعدةٍ انطلق منها إلى تكوينِ واحدةٍ من أقوى الإمبراطورياتِ التى اقتسمت ملكَ الإسكندر وفتوحاته



وإلى جانب تأسيسِ الدولةِ والإمبراطوريةِ البطلميةِ حرص ابنُ لاجوس وبطليموسُ الثانى والثالث من بعدِهِ على تأسيسِ مركزٍ حضارى متميزٍ فى عاصمةِ ملكِهم الإسكندريةِ، ليعودَ إلى مصرَ مع نهوضِ الإسكندريةِ وتقدمِهَا مشْعَلُ الحضارةِ الذى كان قد انتقل إلى بلادِ اليونانِ بعدَ سقوطِ دولةِ الفراعنة، وليزدادَ على ضفافِ نهرِها إشعاعًا وتألقًا.

وفى العامِ الثالثِ والعشرين من حَكمِ بطليموسَ الثالثِ كانت زياراتى السابقةُ لبلادِكم، حيث أمضَيْتُ على

أرضها مايقربُ من ثلاثةَ عشرَ شهراً قبلَ أن أرحلَ عنكم متابعًا عملى فى جمعِ الأخبارِ ومراقبةِ مسيرةِ الإنسانِ فى شتَّى أرجاءِ العالمِ، وبعد أن قضَيْتُ بعضَ الوقتِ فى بابلَ أجمعُ أخبارَ الدولةِ السلوقيةِ، انطلقتُ من فورى إلى القارةِ الأوروبيةِ، وهناك قضيتُ وقتًا طويلاً بين مشاهدةِ مايجرى فى بلادِ اليونانِ ومراقبةِ ازديادِ قوةِ وصعودِ نجمِ رُومَا، وهى المدينةُ الواقعةُ فى شبهِ الجزيرةِ الإيطاليةِ فى منتصفِ حوضِ البحرِ المتوسطِ والتى لم يَكُ لها قبلَ اليومِ قَدْرٌ يذكرُ بين دولِ وممالكِ الأرضِ، فلم تَكُ شبهُ الجزيرةِ الإيطاليةِ كلها إلى وقتٍ قريبٍ سوى أرضٍ موحشةٍ تمتلىءُ بالمستنقعاتِ والغاباتِ التى يقطعُ الفلاحون الرعاةُ أشجارَهَا للاستفادةِ من الأرضِ وَسْطَ حياةٍ بِدَائيَّةٍ خَشِنَةٍ.

وفى عامِ ٧٥٣ قبلَ الميلادِ تأسَّسَتْ روما، مدينةٌ تجاريةٌ صغيرةٌ تحاولُ أن تضمَنَ لنفسِهَا مقوِّمَاتِ البقاءِ وأسبابِ التقدمِ والقوةِ، ومع نهضةِ بلادِ اليونانِ تكوَّنَتْ على السواحلِ الإيطاليةِ مجموعةٌ من المدنِ اليونانيةِ، ظلَّتْ روما إلى جوارِهَا دولةً مستقلةً تسرعُ الخُطَى صوبَ التوسعِ والسيطرةِ، فلم يَأْتِ عامُ ٢٩٠ قبلَ الميلادِ حتى كانت هذه المدينةُ الناشئةُ سيدةَ إيطاليا القويةِ، وشيئًا فشيئًا ازدادت مكانتُها



الإسكندر المقدونى

وعَظُمَ تأثيرُها على مايجرى حولَها من أحداثٍ، فراحت تبحثُ لنفسِهَا عن دورٍ بارزٍ بين إمبراطوريات ودولِ البحرِ المتوسطِ فى نفسِ الوقتِ الذى ظهرت فيه قرطاجةُ [1] على الجانبِ الآخرِ من ساحلِ ذلك البحرِ قوةٌ صاعدةٌ تسعى إلى تأكيدِ قوتِهَا وفرضِ سلطانِهَا، فوقع الاشتباكُ بين الدولتين الناهضتين وتتابعت بينهما الحروبُ حيث حقَّقَ القائدُ القرطاجِىُّ هانيبالُ الانتصاراتِ المتواليةِ على جيوشِ روما، لكنَّ الغلبةَ فى نهايةِ الأمرِ لم تكن إلا للرومانيين الذين استطاعوا أن يديروا دفةَ المعاركِ ويحوِّلُوا هزائِمَهُم المتكررةَ إلى انتصاراتٍ رائعةٍ تُوِّجَتْ بالقضاءِ التامِّ على جيوشِ قرطاجةَ تحتَ أسوارِ مدينتِهِمْ فى موقعةِ زاما عام ٢٠٢ قبلَ الميلادِ، لتخرجَ روما من حروبِهَا مع قرطاجةَ أكثرَ قوةً وتحفُّزًا إلى فرضِ سيادتِهَا على شواطىءِ البحرِ المتوسطِ الذى تتنازعُ سيادتَه ثلاثةُ إمبراطورياتٍ عظيمةٍ هى الإمبراطوريةُ اليونانيةُ فى مقدونيا والإمبراطوريةُ السلوقيةُ فى بابلَ وإمبراطوريةُ البطالمةِ فى مصرَ.

وبعدَ موقعةِ زاما تَوَجَّهْتُ إلى القارةِ الآسيويةِ، حيثُ أمضيتُ مايقربُ من ثمانيةٍ وثلاثين عامًا فى التنقُّلِ مابين دولِ وبلدانِ الشرقِ الأقصى، حتى إذا ماعدتُ إلى روما من جديدٍ كان فى انتظارى الكثيرُ من الأخبارِ والمفاجآت، فلم يَكَدْ يمرُّ على وصولى إليها بضعةُ أيامٍ حتى جاءَ من يخبرُنى بقدومِ الملكِ بطليموسَ السادسِ هاربًا من مصرَ! نعم فقد فَرَّ الملك البطلمىُّ من بلادِهِ ولجأ إلى حُكَّامِ روما يشكو لهم أخاه الأصغرَ الذى ثار عليه واستولَى على عرشِهِ!

ولأننى لا أعلمُ سوى القليلِ عمَّا جرى فى حوضِ البحرِ المتوسطِ طوالَ الأعوامِ التى قضيتُها فى الشرقِ

(١) مدينة شمالى تونس.

الأقصى، لم أتوقفْ طويلاً أمامَ غرابةِ مايحدثُ، بل أسرعتُ إلى الميناءِ حيث شاهدتُ كيف هبطَ ملكُ مصرَ المخلوعُ من إحدى السفنِ وهو يرتدى ملابسَ العامةِ، وكيف سار على قدميْه فى طرقاتِ المدينةِ قاصداً أحدَ المنازلِ المتواضعةِ ليقيمَ فى ضيافةِ رَسَّامٍ رومانى كان قد تعرَّفَ عليه فى الإسكندريةِ.

وفى منزلِ ذلك الرسامِ قابلتُ بطليموسَ السادسَ، وسرعان ما نشأتْ بيننا علاقةُ الْوُدِّ والصداقةِ فتعددَتْ لقاءَاتُنَا وكَثُرَتْ أحاديثُنَا عن مصرَ وملوكِ البطالمةِ، وفى أحدِ هذه الأحاديثِ رحتُ أتوجَّهُ إليه قائلاً: لقد أقامَ الملوكُ البطالمةُ على أرضِ مصرَ دولةً قويةً متحضرةً، خرجَتْ بالمصريين من عهودِ الاضطراباتِ فى ظلِّ الحكمِ الفارسىِّ إلى عهدٍ من الاستقرارِ والتقدُّمِ تحتَ رايةِ الحكمِ البطلمىِّ، ومع هذا ظلَّ الشعبُ المصرىُّ حبيسَ المعاناةَ والإحساسِ بالتبعيةِ وعدمِ الاستقلالِ نتيجةَ تولِّى اليونانيين جميعَ مراكزِ الحكمِ والإدارةِ وتفضيلِهِمْ على كلِّ طوائفِهِ.

فقال: لم يفضلْ آبائى البطالمةَ الأوائلَ اليونانيين، إلا لأنهم عمادُ دولتِهِم والعنصرُ الأساسىُّ فى تكوينِ جيوشِهِمْ وإداراتِهِمْ، وعلى طريقِ بناءِ دولةٍ قويةٍ كان لابدَّ من إعطاءِ هؤلاء اليونانيين بعضَ الامتيازاتِ

عملة فضية .. العصر البطلمى

كمنحِهِم الإقطاعات الزراعيةَ و...

فقاطعتُه قائلاً: حقّاً، فقد سيطرَ اليونانيون على الجزءِ الأكبرِ من أراضى مصرَ المنزرعةِ فى الدلتا والوادى.

فقال: لم يحدثْ شئٌ من هذا، لأن الجانبَ الأكبرَ من الأراضى المصريةِ كان ملكًا للدولةِ، حيث وَرِثَ آبائى أراضى ملوكِ الفراعنةِ وضمُّوا إلى أملاكِهِمْ أراضىَ المعابدِ الشاسعةَ بجانبِ ماقاموا باستصلاحِهِ لينضمَّ إلى ماسبق مؤلِّفًا ملكيةً خالصةً للدولةِ وملوكِهَا يديرُهَا الموظفون اليونانيون ويقومُ على زراعَتِهَا عددٌ وفيرٌ من الزراعِ المصريين، أمَّا إقطاعاتُ الجندِ ورجالِ الإدارةِ فلم تكُنْ يومًا الجانبَ الأكبرَ من الأراضى المنزرعةِ فى الدلتا والوادى، بل إنها أيضا كانت إلى وقتٍ قريبٍ ملكًا للدولةِ.

فقلت له: وكيف كان ذلك؟

فقال: لقد برعَ آبائى فى معاملةِ رجالِ حكوماتِهِمْ وجنودِ جيوشِهِمْ، فمنحُوا كلَّ واحدٍ منهم قطعةً من الأراضى غيرِ المستصلحةِ ليقومَ باستصلاحِهَا والاستفادةِ من نِتَاجِهَا مادام فى خدمةِ الدولةِ، وبذلك وَفَّرُوا على خزائنِهِمْ تسديدَ رواتبِ الجندِ ورجالِ الإدارةِ فى نفسِ الوقتِ الذى أضافُوا فيه إلى مجموعِ الأراضى المنزرعةِ فى البلادِ أرضًا جديدةً.

فقلتُ له: أتعنى أن هذه الإقطاعاتِ الزراعيةَ كانت تعودُ إلى الملكِ مرةً أخرى عند انتهاءِ خدمةِ المستفيدِ منها؟

فقال: أَجَلْ، وقد كان من حقِّ الملك أيضا استردادُهَا متى أرادَ، وظلَّ ذلك الحقُّ ساريًا طوالَ عهودِ البطالمةِ الأوائلِ، فلمَّا أصاب دولتَنَا الضعفُ والوهنُ منذُ عهدِ بطليموسَ الرابعِ تسرَّبَتِ الإقطاعاتُ الزراعيةُ من بين أيدينا وتحوَّلَتْ مع مرورِ الأعوامِ إلى ملكيةٍ خاصةٍ لِمن كان ينتفعُ فقط بما تخرِجُهُ من حاصلاتٍ وثمارٍ.



سوبك التمساح .. رمز اليوم المقدس فى العصر البطلمى

فقلت له: إن مصرَ بلدٌ زراعيٌّ عريقٌ اهتدى أهلُه إلى غرسِ البذورِ وفلاحةِ الأراضى على جانبَي النهرِ منذُ بداياتِ الإنسانيةِ الأولى، ولقد ظلَّتْ مصرُ على الرغمِ من طولِ عهودِ الفوضى التى أعقبت سقوطَ دولةِ الفراعنةِ من أفضلِ الدولِ الزراعيةِ فى العالمِ، ولابد أنكم قد استفدتُم من وفرةِ ثرواتِهَا المائيةِ وخصوبةِ أرضِهَا وجودةِ محاصيلِهَا فى بناءِ دولةِ البطالمةِ، أليس كذلك؟

فقال: بَلَى، فلأنَّ الزراعةَ هى الحرفةُ الرئيسيةُ التى يعملُ بها أكثرُ سكانِ البلادِ، ولأنها كذلك المصدرُ الأساسىُّ لما تتمتَّعُ به من ثرواتٍ صناعيةٍ وتجاريةٍ، كان اهتمامُ البطالمةِ بها اهتمامًا كبيرًا، حيثُ اعتنَوْا بما خلَّفَهُ لهم الفراعنةُ من مشروعاتٍ زراعيةٍ وساروا على نهجِهِمْ يشقُّونَ الترعَ والقنواتِ والمصارفَ ويقيمون الجسورَ والسدودَوالخزاناتِ..

فقاطعتُه قائلا: لقد سار البطالمةُ

إذن على نهج الفراعنة، فلم يَكَ لهم فضلُ الابتكارِ أو الإضافة.

فقال: كيف ذلك؟! إن البطالمةَ لم يقوموا بأعمالِ الريِّ كشقِّ الترعِ وإقامةِ الجسورِ جَرْيًا على نهجِ الفراعنةِ العظامِ فحسب، بل اعتنَوْا كذلك بزيادةِ مساحاتِ الأراضى المنزرعةِ، وتحديثِ آلاتِ الفلاحة، فبعدما كان المصريون لايعرفون سوى الشادوفِ لتوصيلِ المياهِ إلى الأراضى المرتفعةِ عرفُوا فى عهدِنَا السواقىَ والطنبورَ، كما أن لنا الفضلَ فى إدخالِ مَعْدِنِ الحديدِ إلى البلاد بكثرةٍ، ومن ذلك المعدن القوى راح المصريون يصنعُون آلاتِهِمْ التي عادةً ماكانت تصنعُ من الأخشابِ كالفؤوسِ والمناجلِ، ولأن أرضَ الفراعنةِ قد تميَّزَتْ منذُ عهودِهَا الأولى بزراعةِ الحبوبِ الغذائيةِ والزيتيةِ، إلى جانبِ البقولِ والكتَّانِ وأنواعِ الفاكهةِ المختلفة، وَجَّهْنَا كلَّ عنايَتِنَا إلى زيادةِ إنتاجِ هذه المحاصيلِ وتحسينِ صنُوفِهَا وخاصةً محاصيلَ الحبوبِ الزيتيةِ والكرومِ والقمحَ الذى نقومُ بتصديرِ كمياتٍ كبيرةٍ منه إلى بلادِ اليونانِ وروما.

فقلت له: وهل استمرَّ البطالمةُ إلى اليوم يعملون على زيادةِ مساحاتِ الأراضى المنزرعةِ وتحسينِ صنوفِ حاصلاتِهَا؟

فقال: إن الضعفَ والانقسامَ الذى أصابَ دَولَتَنَا منذُ بدايةِ عهدِ بطليموسَ الرابعِ قد أثَّرَ تأثيرًا كبيرًا على نهضةِ مصرَ الزراعيةِ، ثم أن التنازعَ حولَ العرشِ والسلطانِ لم يَدَعْ لنا فرصةً لإظهارِ الاهتمامِ بشئونِ البلادِ، فأنا...

وحتى لا أجدِّدَ على الملكِ المخلوعِ أحزانَ فِرَارِهِ من مصرَ، أسرعتُ أديرُ دفةَ الحديثِ قائلاً: إن دارَ علومٍ ومكتبةَ الإسكندريةِ صفحةٌ مشرقةٌ بين صفحاتِ أعمالِ البطالمةِ تشهدُ لهم بتفوقِ دولتِهِمْ وريادَتِهِمْ وَسْطَ شعوبِ العالمِ فى شتَّى مجالاتِ الآدابِ

والعلوم.

فقال: لم يدّخرِ البطالمةُ جهدًا فى دعمِ دارِ العلومِ والمكتبةِ التى ضمَّتْ بين جنباتِهَا أكبرَ وأندرَ ما أنتجَهُ العقلُ البشريُّ على اختلافِ عهودِه، فقد حَوَتْ هذه المكتبةُ ما يُقَدَّرُ بسبعمائةِ ألفِ مجلَّدٍ ما بين مخطوطاتِ علماءِ اليونان وحكمائِهَا وتراثِ الفراعنةِ وإبداعاتِهِمْ إلى جانبِ كلِّ ماهو قَيِّمٌ وثمينٌ من مؤلفاتِ الإنسانِ فى جميعِ أوطانِ الأرضِ، وبفضلِ هذه المخطوطاتِ والمؤلفات ازدهرت دارُ العلومِ وأبدع علماؤُهَا وحكماؤها، فخطَوْا بالإنسانيةِ عدةَ خطواتٍ جديدةٍ على طريقِ التقدمِ والحضارةِ.

فقلت له: وكيف كان ذلك الازدهارُ؟

فقال: إن أُسَسَ دراسةِ الآدابِ على قواعدَ ونظمٍ علميةٍ قد نشأت فى هذه الدارِ التى شهدت تقدُّمًا كبيرًا فى فنونِ الشعرِ والفلسفةِ والمسرحِ، وكثافةٌ



إناء ملون .. العصر البطلمى

عظيمةٍ فى تدوينِ وحفظِ أخبارِ ماضى الأممِ والشعوبِ حيث سارع الكثيرون إلى الاهتمامِ بتراثِ الإنسانيةِ وعلى رأسِهِمْ جاء مانيتونُ المصرىُّ الذى دَوَّنَ ماضىَ الفراعنةِ وصانَ أعمالَهُمْ من الاندثارِ، وفى الجغرافيا احتلَّ إراثوستنيس مكانَ الصدارةِ بغزارةِ أبحاثِهِ وأهميَّتِهَا وخاصةً تلك الأبحاثَ

التى قاسَ فيها محيطَ الكرةِ الأرضيةِ[1]، ولم يقتصرِ ازدهارُ دارِ علومِ الإسكندريةِ على مجالاتِ الآدابِ فحسبُ، بل ازدهرَتْ فيها أيضًا حركةُ العلومِ فبرع هيروفيلوسُ فى علومِ التشريحِ ووَضَعَ إقليدس وأبولونيس قواعدَ ومبادىءَ علومِ الرياضياتِ والطبيعةِ، وكان أرشميدس مكتشفُ قانونِ الكثافةِ النوعيةِ من أبرزِ العبقرياتِ العلميةِ التى تأثَّرتْ بدارِ العلومِ وأثَّرتْ فيها وأضافَتْ إليها.

ومن يومٍ إلى آخَرَ، توثَّقَتِ العلاقةُ بينى وبينَ الملكِ بطليموسَ السادسِ حتى أنه قد وَعَدَنِى فى أحد لقاءاتِنَا بأن يُهْدِيَنِى، إن عادَ إلى حكمِ مصرَ قصرًا كبيرًا فى الحىِّ الملكىِّ لأقيمَ فيه كلما ذهبتُ إلى الإسكندريةِ، ولم يمكثْ صديقى الملكُ فى روما طويلاً بعدما قرَّرَ حكامُهَا مساعدتَه على استردادِ



عرشِ البطالمةِ، فسرعان مارحل إلى جزيرةِ قبرصَ ليكونَ قريبًا من بلادِهِ انتظارًا لليومِ الذى يتمكَّنُ فيه من العودةِ إليها.

وفى منتصفِ عامِ ١٦٣ قبلَ الميلادِ جاءت الأخبارُ تحملُ نبأَ عودتِهِ إلى الحكمِ، فقرَّرْتُ الذهابَ إلى مصرَ لألتقىَ بنيلٍ وأستكملَ معه التعرُّفَ على أخبارِ البطالمةِ من جانبٍ ولأنالَ ماوَعَدَنِى به بطليموسُ السادسُ من جانبٍ آخَرَ، ولكن كان علىَّ أولا قبلَ

(١) قدر إراتوستنيس محيط الكرة الأرضية بطول ٣٩٤٥٩ كيلومترا وأثبت العلم الحديث دقة تقديره إذ إن محيط الكرة الأرضية الحقيقى يقدر بطول ٣٩٧٧٩ كيلومترا.

الذهابِ إلى أرضِ الفراعنةِ أن أتعرَّفَ على أخبارِ مُدُنِ وبلدانِ الساحلِ الأفريقىِّ، فتركتُ روما متوَجِّهًا إلى أقصى شمالِ غربيِّ القارةِ الأفريقيةِ وظَلَلْتُ طوالَ ثمانيةَ عشرَ عامًا أتنقَّلُ من منطقةٍ إلى أخرى فى اتِّجَاهِ الشرقِ حتى وصلتُ إلى الإسكندريةِ فى مساءِ أحدِ أيام عامِ ١٤٥ قبلَ الميلادِ، وفى الإسكندريةِ انطلَقْتُ من فورى إلى الحىِّ المصرىِّ، وهناك فى أحدِ المنازلِ الصغيرةِ كان يقيمُ نيلُ الذى ما إن وقع بصرُهُ علىَّ حتى راح يبادرُنى قائلا: مرحبًا بك يا أبتى، لابدَّ أنك قد بذلتَ جهدًا كبيرًا فى البحثِ عَنِّى والوصولِ إلى المنزل.



فقلت له: أَجَلْ يانيلُ، ولذلك لن تقيمَ فى هذا المنزلِ بعدَ اليومِ.

فقال متعجبا: وأين سأقيمُ إذًا؟!

فقلت له: ستَنْتَقِلُ للإقامةِ عندى فى الحىِّ الملكىِّ.

فقال: أتمتلكُ منزلاً فى الحىِّ الملكى ياأبتى؟

فقلت له: بل قصرًا كبيرًا، سأسمحُ لك أن تشاركَنى الإقامةَ فيه ولكن ليس قبلَ أن تقصَّ علىَّ جميعَ ماجرى فى بلادِكِمْ منذُ العامِ الثالثِ والعشرين لحكم بطليموسَ الثالثِ وحتى اليومِ.

فقال: لم يمكثْ بطليموسُ الثالثُ بعدَ ذلك على العرشِ طويلاً، إذ سرعان ماتُوُفِّىَ فى عامِ حكمِهِ الخامسِ والعشرين تاركًا إمبراطوريةَ البطالمةِ فى أَوْجِ ازدهارِهَا لولى عهده بطليموسَ الرابعِ الذى تولَّى مقاليدَ

الحكمِ شاباً في مقتبلِ العمرِ، ولكنه على عكسِ بطليموسَ الثالثِ لم يتمتعْ بشيءٍ يذكرُ من مقوماتِ الحكمِ والقيادةِ القادرةِ على تدعيمِ مكانةِ الإمبراطوريةِ البطلميةِ وصيانةِ أملاكِهَا بين الإمبراطوريةِ السلوقيةِ في الشرقِ والإمبراطوريةِ اليونانيةِ في الشمالِ، وأمامَ ضعفِ الملكِ وخمولِهِ وعدمِ اكتراثِهِ بشئونِ الحكمِ لم يَكُنْ من العسيرِ على بعضِ رجالِ حكومَتِهِ وعلى رأسِهِمْ وزيرُه سوسيبيوس أن يسيطرُوا عليه ومن ثَمَّ على مقاليدِ حكمِ الإمبراطوريةِ واضعين أيديَهُمْ على خزائنِ ثرواتِهَا ومواضعِ الرَّأيِ والقرارِ فيها، ولكنهم ما إن أحكموا سيطرتَهُمْ على البلادِ حتى كان عليهم أن يواجهوا اختباراً عسيراً ويقفُوا في وجهِ خطرٍ داهمٍ يهدِّدُ أمنَ الإمبراطوريةِ وسلامَتَهَا.

فقلت له: أيَّ خطرٍ تقصدُ؟

فقال: تعلم أن أراضي فلسطينَ ولبنانَ وجنوبِ سوريا، قد ظلَّتْ تحتَ حكمِ خلفاءِ بطليموسِ بن لاجوسَ على الرغمِ من كثرةِ الحروبِ والصراعاتِ التي دارت حولَها مع ملوكِ الدولةِ السلوقيةِ في بَابِلَ، ومع أن الملكَ السلوقيَّ حينئذٍ كان يعاني من اشتعالِ الاضطراباتِ داخلَ بلادِه، إلا أنه كان محاربًا طموحًا لم تمنَعْهُ اضطراباتُ بلادِهِ من انتهازِ فرصةِ ضعفِ القيادةِ في مصرَ لتحقيقِ حلمِ آبَائِهِ بانتزاعِ جنوبِ سوريا ولبنان وفلسطينَ من أيدي البطالمة.

فقلتُ له: وكيفَ وَاجَهَ بطليموسُ الرابعُ إِذَنْ خطرَ الدولةِ السلوقيةِ؟

فقال: بينما كان بطليموسُ الرابعُ بعيدًا عن كلِّ شواغلِ الحكمِ لايكاد يشعرُ بالخطرِ الذي يدقُّ أبوابَ إمبراطوريَّتِهِ، كان على سوسيبيوس ورجالِهِ أن يحافظُوا على مكانَتِهِمْ ويدافعُوا عن سلامةِ العرشِ الذي أتاح لهم الثروةَ ومنحَهُم النفوذَ والسلطانَ،

وأمامَ ضعفِ استعدادِ مصرَ الحربيِّ وقِلَّةِ مالديها من جنودٍ قادرين علي القتالِ، راح سوسيبيوسُ يستعملُ دهاءَهُ في كسبِ مزيدٍ من الوقتِ، يساعدُ على زيادةِ الاضطراباتِ في داخلِ الدولةِ السلوقيةِ تارةً، ويسعى لمفاوضةِ مَلِكِهَا مظهراً استعدادَهُ للتخلِّى عن أراضى جنوبِ سوريا بغيرِ حربٍ تارةً أخرى، بينما هو فى خلالِ كلِّ ذلك يسرعُ فى إعادةِ تقويةِ جيوشِ البلادِ وزيادةِ أعدادِهَا بكلِّ ما يمتلكُهُ من وسائلَ، حتى أنه حينما شقَّ عليه إحضارُ المزيدِ من الجنودِ الأجانبِ، قام بتجنيدِ نحوَ عشرين ألفَ مصريٍّ وعهد إلى قادةِ الجيوشِ اليونانيين بتدريبِهِمْ وإعدادِهِمْ لخوضِ المعركةِ المنتظرةِ.

فقلت له: ومتى وقعت هذه المعركةُ يانيلُ؟

فقال: ظلَّ سوسيبيوسُ يُعِدُّ الجيوشَ ويدرِّبُهَا فى سرِّيَّةٍ تامَّةٍ طيلةَ

تمثال حجرى للملك بطليموس الرابع

عامَيْنِ كامِلَيْنِ كان الملكُ السلوقيُّ خلالَهُمَا قد قضى تماماً على جميعِ مظاهرِ الاضطراباتِ والفوضى فى بلادِه وتأكَّدَ كلَّ التأكُّدِ من مراوغةِ وزيرِ مصرَ وعدمِ جَدْوَى استمرارِ المفاوضاتِ السلميةِ معه، فلم يُضَيِّعِ المزيدَ من الوقتِ وانطلقَ على رأسِ جيوشِهِ إلى جنوبِ سوريا حيثُ استَوْلَى عليها وتابعَ تقدُّمَهُ فوصلَ إلى مدينةِ غَزَّةَ دونَ أن يُوَاجِهَ جيوشَ البطالمةِ التى لم تَكُ قد أتَمَتْ بعدُ استعداداتِهَا لخوضِ القتالِ، وبينما كانت جيوشُ السلوقيين تقتربُ من مدينةِ رَفَحٍ، كانت الجيوشُ البطلميةُ قد انتهت لتوِّهَا من نقلِ جنودِهَا إلى ميدانِ المعركةِ، ليتلاقى الفريقان فى منتصف عام ٢١٧ قبلَ الميلادِ جنوبِيَّ رَفَحٍ ويدورُ بينهما قتالٌ عنيفٌ يظهرُ فيه منذُ البدايةِ تفوُّقُ السلوقيين وحسنُ استعدادِهِمْ وتنظيمِهِمْ، ولكن ما إن دارت الدائرةُ على البطالمةِ ووثقَ أعداؤُهم من إحرازِ النصرِ حتى استبسلَ المصريون الذين لم يَكُ قد مضى على تجنيدِهِمْ سوى أشهرٍ قلائلَ وأظهروا من المهارةِ والبراعةِ القتاليةِ ما كان كافياً لأن يحسمَ المعركةَ لصالحِهِمْ حيث تراجعَ السلوقيون إلى شمالِ سوريا واحتفظ البطالمةُ بأراضى فلسطينَ ولبنانَ وجنوبِ سوريا.

فقلت له: لقد واصل البطالمةُ إذن المحافظةَ على تلك الأراضى بفضلِ الجنودِ المصريين، ولكن هل كانت هذه هى المرةَ الأولى التى يخوضُ فيها المصريون قتالاً تحتَ رايةِ البطالمة؟

فقال: كانت هذه هى المرة الأولى التى يتاحُ لهم فيها المشاركةُ بعددٍ كبيرٍ قادرٍ على التأثيرِ فى نتيجةِ المعاركِ، فسياسةُ البطالمةِ الثلاثةِ الأوائلِ قامت على عدمِ إشراكِ المصريين فى وظائفِ الجيشِ المهمَّةِ، واكتَفَوْا بأن يعهدُوا لهم بأعمالِ النقلِ والتموينِ وماشابه ذلك

من الأعمالِ الثانويةِ، فلم يَتَعَدَّوْا يومًا تسليحَ بعضِهِم بالأسلحةِ الخفيفةِ للاستعانةِ بهم فى حالةِ الضرورةِ القصوى، ولم يلجأْ سوسيبيوس إلى الاعتمادِ على جنودِ مصرَ إلا حينما قلَّ عددُ الجنودِ الأجانبِ فى الجيوشِ البطلميةِ وسرت فى عروقِ مَنْ تبقَّى منهم دماءُ الضعفِ والتخاذلِ لاعتيادِهِم حياةَ السلمِ والبعدِ عن ميادينِ القتالِ.

فقلت له: حسنا يانيلُ، وماذا فعل بطليموسُ الرابعُ بعدَ موقعةِ رَفَحٍ؟

فقال: بعد موقعةِ رَفَحٍ التى فُرِضَتْ على بطليموسَ الرابعِ فرضًا، لم تخرجْ جيوشُهُ إلى ساحاتِ القتالِ مرةً أخرى طوالَ أعوامِ حكمِهِ الثمانيةَ عشرةَ، ولم يتعدَّ نشاطُ سوسيبيوسَ ورجالِهِ فى سياسةِ البلادِ الخارجيةِ بعض الأعمالِ الهزيلةِ، حتى أنه لما قامت المعاركُ بين هانيبالَ القرطاجىِّ وروما لم تحاولْ دولةُ البطالمةِ أن تَجِدَ لها دورًا فعَّالاً



تمثال حجرى لفتاة من العصر البطلمى

يحفظُ مكانَتَهَا كقوةٍ لابد وأن يحسبَ لها حسابٌ فى محيطِ البحرِ المتوسطِ، واكتفَتْ بالوقوفِ موقفَ الحيادِ وعدمِ الاكتراثِ الذى التزَمَتْهُ تجاهَ جميعِ



سرابيس .. رمز الإسكندرية المقدس

الصراعاتِ القائمةِ من حَوْلِهَا، ولم يَكُ حال السياسةِ الداخليةِ فى عهدِ بطليموسَ الرابعِ إلا صَدًى لوَهَنِ وتخاذلِ السياسةِ الخارجيةِ، فلم يَكَدْ يمضى على انتصارِ رفحٍ وقتٌ طويلٌ حتى اندلعت الثورةُ فى كافةِ أرجاءِ مصرَ، وخرج المصريون يطالبون بحقِّهِمْ فى إدارةِ بلادِهِمْ والاستفادةِ من ثرواتِهَا.

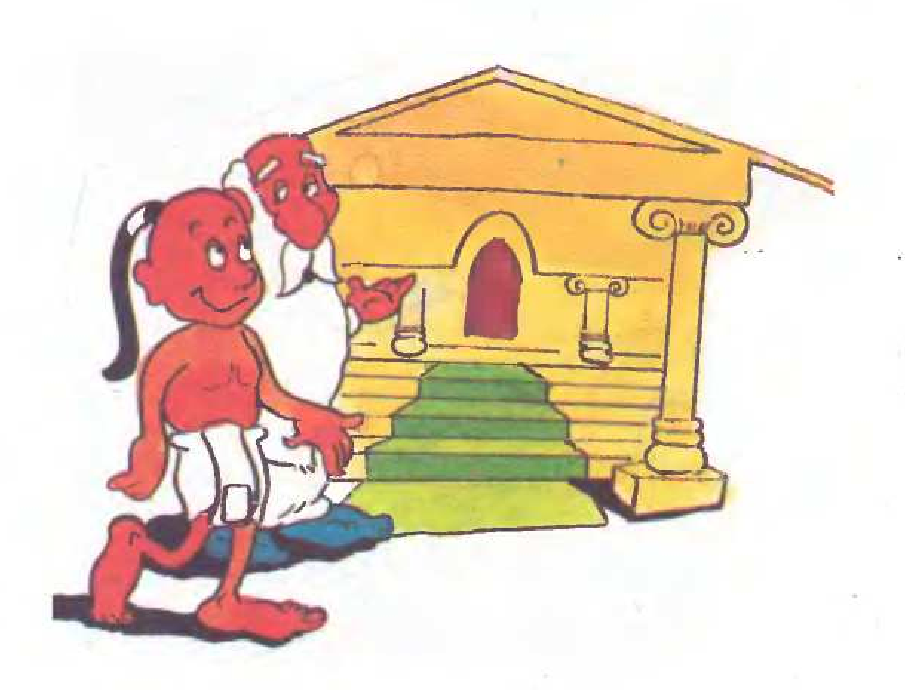
فقلت له: وكيف اندلعت الثورةُ بين جموعِ المصريين يانيلُ؟

فقال: لقد شعر المصريون منذُ الأعوامِ الأولى لحكمِ البطالمةِ بمدى الظلمِ الذى وقع عليهم حينما خضعوا لسلطانِ ملوكٍ غرباءَ فرضوا على بلادِهِمْ مجموعةً كبيرةً من اليونانيين واضعين بين أيديهم مواردَهَا وثرواتِهَا بمنحِهِمْ أغلبَ وظائفِ الجيشِ والإدارةِ، وماكان أحفادُ الفراعنةِ العظامِ ليقبلوا بأن تكونَ لهم المرتبةُ الثانيةُ على أرضِهِمْ بعد اليونانيين، وهم إن كانوا قد اكتَفَوْا بإضرابِ الزراعِ والصناعِ والتجارِ منهم عن مزاولةِ أعمالِهِمْ فى عهدِ بطليموسَ الثانى، فإن نيرانَ ثورتِهِمْ ماَلبِثَتْ أن ازدادَت اشتعالاً بعدَ عودةِ جنودِهِمْ من موقعةِ رَفَحٍ فى عهدِ بطليموسَ الرابعِ، ليصطدموا بحكومةِ البطالمةِ والجنودِ اليونانيين على طولِ الوادى والدلتا

مطالبين بحقِّهِمْ فى خيراتِ وطنِهِمْ ووطنِ آبَائِهِمْ وأجدَادِهِمْ.

فقلتُ له: ومَنِ الذى جلسَ علىَ العرشِ خلفًا لِبطليموسَ الرابعِ؟

فقال: رحل بطليموسُ الرابعُ تاركًا العرشَ لوريثِه بطليموسَ الخامسِ الذى لم يَكُنْ قد تجاوزَ بعدُ السادسةَ من عمرِه، وحتى لاتفوزَ الملكةُ بالوصايةِ على ابنِهَا الصغيرِ أخفى سوسيبيوسُ نبأَ وفاةِ الملكِ البطلمىِّ، إلى أن تمكَّنَ من قتلِ زوجَتِهِ، ثم راح يعلنُ نفسَه وأحدَ أتباعِهِ وصيَّيْنِ على بطليموسَ الخامسِ، ولكنَّ جموعَ الشعبِ التى علِمَتْ بمقتَلِ الملكةِ ازدادَتْ سخطًا على سوسيبيوسَ وأتباعِهِ وتمادَوْا فى إعلانِ العصيانِ والثورةِ، ووسطَ الاضطراباتِ التى سادت جميعَ أرجاءِ البلادِ التفَّ الجنودُ اليونانيون حولَ أحدِ قادَتِهِمْ وناصرَهُمُ الشعبُ المصرىُّ ضدَّ سوسيبيوسَ، إلى أن تمكَّنَ ذلك القائدُ من تولِّى مقاليدِ الوصايةِ، لكنه



سرعان ما أظهر ضعفَه وعدمَ قدرتِهِ على الخروجِ بالبلادِ من حالةِ الضعفِ والفوضى، فلم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تمَّ عزلُه ليتبعَه أحدُ رجالِ الإدارةِ اليونانيين، وقد كان من الطبيعىِّ مع ضعفِ حكومةِ البطالمةِ واشتعالِ ثورةِ المصريين فى الداخلِ أن تتعرَّضَ أملاكُ الإمبراطوريةِ فى الخارجِ للانهيارِ والضياعِ.

فقلتُ له: وكيف كان ذلك؟

فقال: لم يفقدِ السلوقيون الأملَ فى

الاستيلاءِ على أملاكِ الإمبراطوريةِ البطلميةِ فى آسيا بعدَ هزيمتِهِمْ فى موقعةِ رَفَحٍ. بل راحوا يعدُّونَ العدَّةَ استعداداً لمواصلةِ القتالِ من جديدٍ، حتى إذا ما علموا بما جرى فى مصرَ بعدَ وفاةِ بطليموسَ الرابعِ راحوا يحقِّقُونَ آمَالَهُمْ بالاستيلاءِ على جنوبِ سوريا ولبنانَ وفلسطينَ، ولم يَأْتِ عامُ ١٩٨ قبلَ الميلادِ إلا وكانت مصرُ قد فُقِدَ جميعُ ممتلكاتِهَا فى آسيا ورجعت بحدودِهَا إلى حدودِ شبهِ جزيرةِ سَيْنَاءَ.

فقلت له: وما مصيرُ بقيةِ أملاكِ الإمبراطوريةِ البطلميةِ؟

فقال: بينما كانت الإمبراطوريةُ السلوقيةُ تستولى على أملاكِ البطالمةِ فى آسيا، كانت إمبراطوريةُ اليونانِ فى مقدونيا تستولى على ماتبقَّى من أملاكِهِمْ فى أوروبا، فلم يتبقَّ فى يد بطليموسَ الخامسِ من إمبراطوريةِ آبَائِهِ بالإضافةِ إلى أرضِ مصرَ سوى إقليمِ بَرْقَةَ فى الغربِ وجزيرةِ قُبْرُصَ فى الشمالِ.

فقلت له: وما الذى حدثَ بعدَ ذلك؟

فقال: لم يَكَدِ السلوقيون ينتهُونَ من حروبِهِمْ مع البطالمةِ حتى دخلوا فى نزاعٍ مع الدولةِ الرومانيةِ، ولكى يتفرَّغُوا لنزاعِهِمْ مع عَدُوِّهِمْ الجديدِ كان لابدَّ لهم من أن يأمنُوا أولا جانبَ المصريين، فراحوا يسعَوْنَ إلى عقدِ الصلحِ مع الدولةِ البطلميةِ حتى تَمَّ لهم ذلك بزواجِ كليوباترا الأولى فى عامِ ١٩٥ قبلَ الميلادِ.

فقلتُ له: وهل حافظ بطليموسُ الخامسُ على صُلْحِهِ مع السلوقيين، أم انتهزَ فرصةَ نزاعِهِمْ مع روما لاستردادِ أملاكِهِ فى آسيا؟

فقال: حينما احتدمَ الصراعُ بين روما والسلوقيين، تدخلت مقدونيا طرفًا فى النزاعِ حولَ سيادةِ البحرِ المتوسطِ، بينما التزمَتْ دولةُ البطالمةِ الحيادَ فى أولِ الأمرِ، وما لَبِثَتْ أن انحازَتْ إلى

روما بعدما ظهرَ أنها الطرفُ الأقوَى، ولكنها مع ذلك اكتفت طوالَ الوقتِ باستخدامِ جنودِهَا فى مواجهةِ ثورةِ المصريين فى الداخل.

فقلتُ له: وهل أفلحَتْ فى القضاءِ على ثورةِ المصريين يانيلُ؟

فقال: لقد واجه بطليموسُ الخامسُ وجنودُه اليونانيون ثورةَ المصريين بكلِّ ما أُتيحَ لهم من قوةٍ، فحاصروا جموعَ الثُّوَّارِ وأرغموا قادتَهُمْ على التسليمِ، إلا أن الثورةَ مع انحصارِهَا فى آخرِ عهدِ بطليموسَ الخامسِ لم تكُ قد خَمَدَتْ تمامًا، علاوةً على أنها إلى ذلك الوقتِ كانت قد حقَّقَتْ بعضَ أهدافِهَا حيثُ اضْطَرَّتْ حكومةَ البطالمةِ إلى أن

أحد الملوك البطالمة .. نقش على أحد جدران فيلة

تزيدَ من تودُّدِهَا للشعبِ المصرىِّ وكهنَتِهِ (١)، فبجانبِ إرغامِ اليونانيين على تتويجِ الملكِ البطلمىِّ على الطريقةِ الفرعونيةِ فى مَنْفٍ، أدت الثورةُ إلى إلغاءِ بعضِ الضرائبِ وتخفيضِ بعضِهَا الآخَرِ، كما أَدَّتْ أيضًا إلى زيادةِ عددِ المصريين فى مختلفِ وظائفِ الجيشِ والإدارةِ.

فقلتُ له: وهكذا كان انشغالُ بطليموسَ الخامسِ بمواجهةِ الثورةِ المصريةِ أحدَ الأسبابِ التى أدَّتْ إلى تخاذلِ سياستِهِ الخارجيةِ، ولكن هل استمرَّ تدهورُ مكانةِ دولةِ البطالمةِ فى محيطِ البحرِ المتوسطِ بعدَ أن هدأَتْ حدَّةُ الثورةِ؟

فقال: لقد بدأ التدهورُ يصيبُ دولةَ البطالمةِ مع بدايةِ عهدِ بطليموسَ الرابعِ واستمرَّ فى النموِّ طوالَ عهدِ بطليموسَ الخامسِ الذى ما إن تُوُفِّىَ عامَ ١٨٠ قبلَ الميلادِ حتى ازدادَ الأمرُ سوءًا بوصولِ العرشِ إلى بطليموسَ السادسِ الذى لم يَكُ قد تَجَاوَزَ السابعةَ من عمرِهِ.

فقلتُ له: ومن الذى قام بأعمالِ الوصايةِ على الملكِ الجديدِ؟

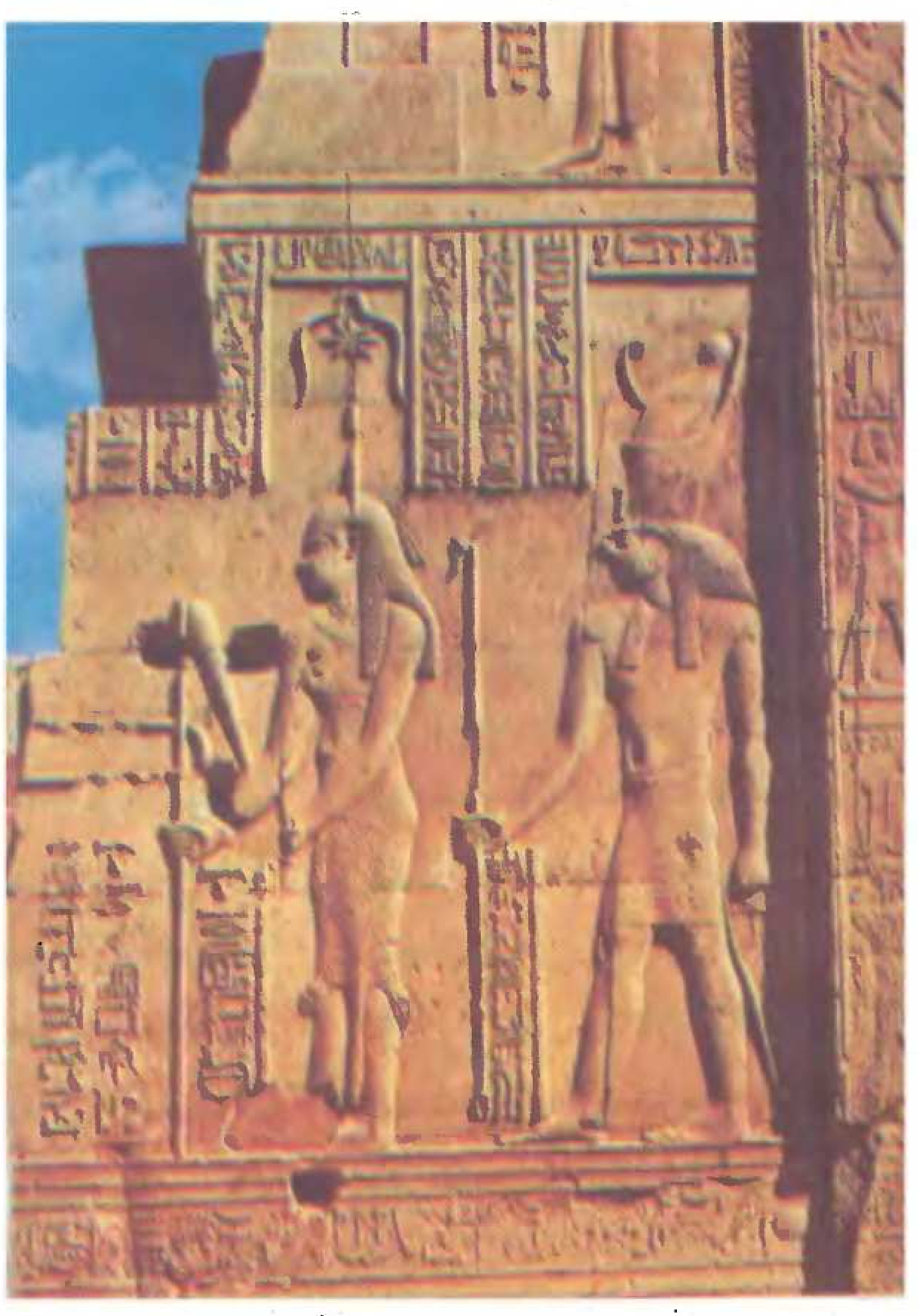
فقال: قامت الملكةُ كليوباترا الأولى بأعمالِ الوصايةِ فى أولِ الأمرِ، لكنها سرعان مارحلت لتنتقلَ الوصايةُ إلى اثْنَيْنِ من رجالِ القصرِ البطلمىِّ، ظلاَّ يديران شئونَ البلادِ بضعفٍ ظاهرٍ، إلى أن قَرَّرَا فى العامِ العاشرِ من حكمِ بطليموسَ السادسِ إعدادَ حملةٍ عسكريةٍ لاسترجاعِ أملاكِ البطالمةِ من يَدِ السلوقيين، ولكن الملكَ السلوقىَّ لم يُتِحْ لهما الوقتَ وبادَرَهُمَا بالهجومِ، فزحفَ بجيوشِهِ من فلسطينَ وتمكَّنَ من الاستيلاءِ على شرقى الدلتا ومدينةِ مَنْفٍ دُونَ عناءٍ حربىٍّ كبيرٍ، وأمام

(١) سجل حجر رشيد الذى ساهم إسهاما عظيما فى فك رموز اللغة الهيروغليفية شكر الكهنة المصريين لبطليموس الخامس على رعايته لهم عام ١٩٦ قبل الميلاد.

انتصارِ السلوقيين ووقوعِ بطليموسَ السادسِ فى الأسرِ، أعلنت الإسكندريةُ تنصيبَ أخيه الأصغرِ مَلِكًا على البلادِ وأسرعَتْ تقوِّى تحصيناتِها استعدادًا للمواجهةِ، وقبل أن تنجحَ الجيوشُ السلوقيةُ فى حسمِ المواجهةِ، استطاعت المدنُ اليونانيةُ أن تقومَ بالوساطةِ بين الفريقين المتحاربين ليرحلَ الملكُ السلوقى وجنودُه عن مصرَ ويعودَ بطليموسُ السادسُ إلى عاصمةِ ملكِه حيث استقرَّ الاتفاقُ بينه وبين أخيه الأصغرِ على الاشتراكِ فى الجلوسِ على العرشِ.

فقلت له: وإلى متى استمرَّ ذلك الحكمُ المشتركُ؟

فقال: لم يَمْضِ عامان على



نقوش على جدران معبد إدفو .. أحد معابد البطالمة



لوحة ذهبية تسجل ذكرى تأسيس السرابيوم باللغتين اليونانية والهيروغليفية

اشتراكِهما فى الحكمِ، حتى راح الملكُ السلوقىُّ يعاوِدُ هجومَه من جديدٍ، فاستولى على قبرصَ ثم مضى إلى مصرَ وحاصرَ الإسكندريةَ، ولكن روما التى كانت حريصةً على ألا تتغلَّبَ إحدى قُوَى البحرِ المتوسطِ على الأخرى، سارعت بتهديدِ الملكِ السلوقى وأرغمَتْهُ على الرحيلِ من مصرَ وقبرصَ معًا، لتتسارعَ الأحداثُ بعدَ رحيلِه حيث اندلعت نيرانُ الثورةِ من جديدٍ، وحاول أحدُ المصريين الذين كانوا قَدِ ارْتَقَوْا إلى شغلِ بعضِ مراكزِ الصدارةِ فى حكومةِ الإسكندريةِ أن يخلِّصَ بلادَهُ من ضعفِ البطالمةِ وانقسامِهِمْ، لكنَّ بطليموسَ السادسَ وقفَ فى وَجْهِ محاولَتِهِ وتمكَّنَ من القضاءِ على الثورةِ فى العاصمةِ قبلَ أن ينطلقَ على رأسِ جنودِهِ لإخضاعِ الثوَّارِ المصريين على طولِ الوادى والدلتا، وماكاد ينجحُ فى إخضاعِهِمْ حتى عَلِمَ بانقلابِ شقيقِهِ عليه فآثَرَ النجاةَ بحياتِهِ وفَرَّ هاربًا إلى روما.

فقلتُ له: لَقَدِ انهارَتْ دولةُ البطالمة إذن بعدَ ضياعِ معظمِ أقاليمِهَا فى الخارجِ إلى الحدِّ الذى مكَّنَ روما من السيطرةِ على جميعِ شئونِهَا.

فقال: أَجَلْ يا أبتى، وهناك الكثيرُ من الأسبابِ التى كان لابدَّ لها وأن تؤدِّىَ إلى ذلك الانهيارِ، فبجانبِ اندلاعِ الثورةِ بين صفوفِ المصريين واضطرارِ البطالمةِ إلى الانشغالِ بمواجهتِهَا، كان هناك ضعفُ السياسةِ الخارجيةِ وسطَ ازديادِ قوةِ مقدونيا وسلوقيا وظهورِ روما وتعاظمِ سلطانِهَا، كما كان هناك أيضًا ضعفُ ملوكِ البطالمةِ وعدمُ قدرَتِهِمْ على القيامِ بأعباءِ الحكمِ، إذ إنه منذُ وفاةِ بطليموسَ الثالثِ آلَ عرشُ البطالمةِ إلى ملوكٍ ضعافٍ أو صبيةٍ صغارٍ تركوا الوزراءَ والأوصياءَ يتلاعبون بأقدارِ إمبراطوريتِهِمْ لاهَمَّ لهم إلا تحقيقُ مطامعِهِمْ والمحافظةُ على مكانَتِهِمْ وثرواتِهِمْ.

تمثال من البازلت الأسود للعجل ابيس

وامتدَّ بنا الحديثُ حتى صباحِ اليومِ التالى، حيث أخذ نيلُ يُعِدُّ أمتعتَهُ استعدادًا للانتقالِ معى إلى قصرى الجديدِ، بينما رحتُ أتوجَّهُ إليه قائلاً: لقد نَفَّذَتْ روما وَعْدَهَا لبطليموسَ السادسِ وأعادَتْهُ إلى حكمِ مصرَ، أليس كذلك

فقال: بَلَى، فقد انتهزَتْ روما فرصةَ النزاعِ على عرشِ البطالمةِ لتقسيمِ ماتبقَّى من إمبراطوريتِهِمْ، حيثُ مَكَّنَتْ

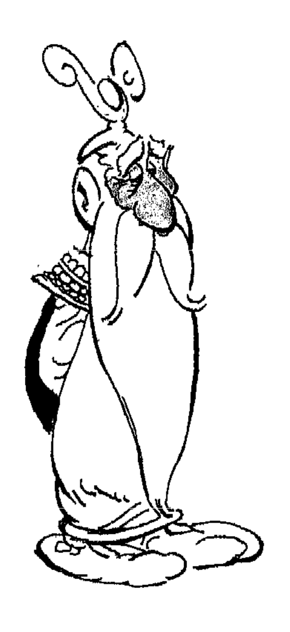
بطليموسَ السادسَ من حكمِ مصرَ وقبرصَ ولكنْ على أن يكونَ لأخيهِ الأصغرِ حكمُ إقليمِ برْقَةَ.

فقلت له: وهل حدث شيءٌ مُهِمٌّ بعد عودةِ بطليموسَ السادسِ إلى الحكمِ؟

فقال: أراد بطليموسُ السادسُ بعد عودَتِهِ أن يكسبَ وُدَّ المصريين، فراح يتقرَّبُ إلى الكهنة ويشيِّدُ المعابدَ، حتى إذا ماوثِّقَ من هدوءِ بلادِهِ واستقرارِهَا راح يستغلُّ النزاعَ الذى قامَ فى الدولةِ السلوقيةِ حولَ الحكمِ محاولاً استردادَ أرضِ فلسطينَ ولبنانَ وجنوبِ سوريا، وعلى الرغمِ من تحقيقِهِ لبعضِ الانتصاراتِ فى بدايةِ المعاركِ، فقد هُزِمَتْ جيوشُهُ هزيمةً قاسيةً وسقَطَ قتيلاً فى ميدانِ القتالِ بفلسطينَ منذُ بضعةِ أيامٍ.



تمثال فخارى لسيدة بالزى اليونانى



أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



للمكتب العربى المعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى

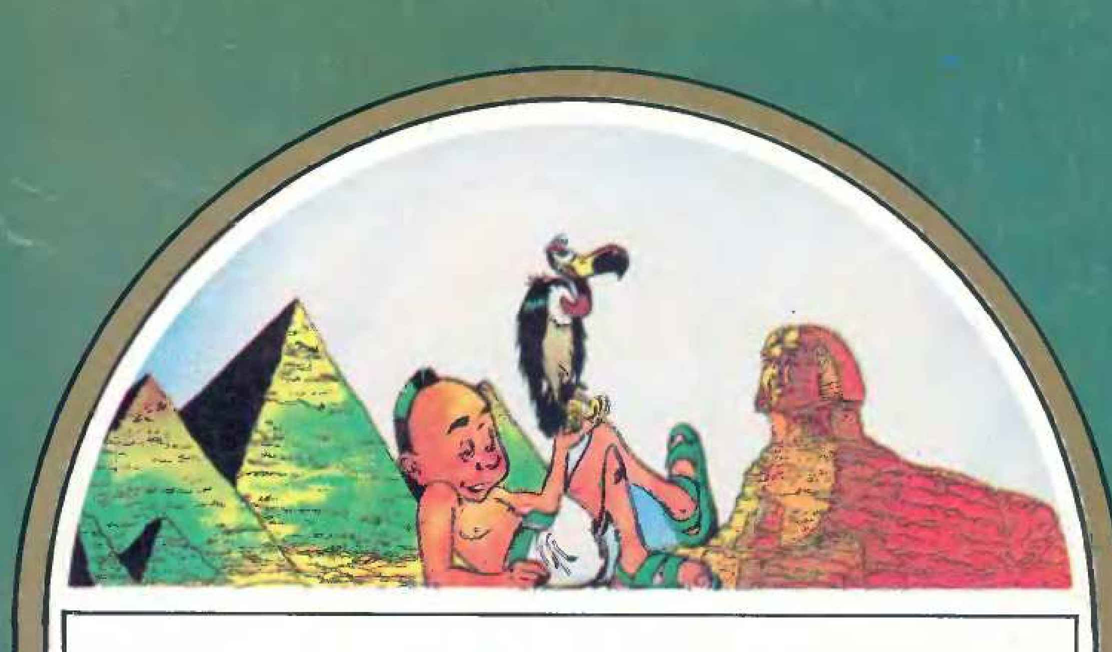
ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة

ت: ٢٤٢١٥٢٦

الناشر



«نيل وتاريخ»



فجر الحضارة
مصر الدولة
بناة الأهرامات
غروب شمس الأهرامات
العصر الذهبي
انتصار طيبة
تأسيس الامبراطورية
عصر التوحيد
الرعامسة
سقوط دولة الفراعنة

مصر وآشور
مصر وفارس
مصر البطلمية
ميلاد الإسكندرية
انهيار دولة البطالسة
بين روما والإسكندرية
مصر الرومانية
مصر القبطية
مصر البيزنطية
مصر الإسلامية



